مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية

المجلد (10) العدد (02) السنة (2023)

الصفحة 464/483

الاتساق النحوي في رسالة صدام حسين الأخيرة

Grammatical consistency in Saddam Hussein's last letter

ط.د/ معوش عفاف[1]*، أ.د/ شنوفي ميلود[2]

[1] جامعة امحمد بوقرة بومرداس،مخبر الممارسات الثقافية والتعليمية والتعلمية(الجزائر)،

f.maouche@univ-boumerdes.dz

[2] جامعة امحمد بوقرة بومرداس، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية (الجزائر

m.chenoufi@univ-boumerdes.dz(

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2023/02/15
تاريخ القبول:2023/06/15

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص:

هذه الورقة البحثية قراءة لسانية نصية في الرسالة الأخيرة للرئيس العراقي الراحل صدام حسين. نسعى من خلالها إلى فحص مدى تماسك الوحدات اللّغوية المشكّلة لبنية نصّها على المستوى الشكلي، وذلك باقتفاء أدوات الاتساق النحوي، وتحليلها على ضوء علم اللغة النصي، وبيان فاعليتها في ترابط أجزاء هذه الرسالة وتلاحمها.

وقد اتضح في ختام البحث أن هذه الرسالة بناء لساني محكم السبك؛ وهذا بفضل ما تتوفر عليه من وسائل لغوية (إحالة، استبدال، حذف ووصل) تصل بين أجزائها.

الكلمات المفتاحية:رسالة صدام حسين، الاتساق النحوي، الإحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل.

ABSTRACT:

This research paper is a linguistic an textual reading of the last letter of the late Iraqi President Saddam Hussein. Through which, we seek to examine the coherence of the formed linguistic units of the structure of its text at the formal level, by tracing the tools of grammatical consistency, analyzing them in the light of textual linguistics, and demonstrating their effectiveness in the interconnection and cohesion of the parts of this message.

At the end of the research, it turned out that this message is a well-formed linguistic construct; this is thanks to the linguistic means available to it (allusion, substitution, deletion and connection) that connects its parts.

Keywords: Saddam Hussein's message, grammatical consistency,allusion, substitution, deletion, connection.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

شهد الدرس اللساني مع أواخر الستينيات وبداية السبعينيات تطورا ملحوظا؛ فبعد أن ظلت الجملة – ردحا من الزمن – بؤرة اهتمامه باعتبارها أكبر وحدة قابلة للتحليل اللساني– وبعد أن استنفد نحو الجملة أغراضه واستهلك نفسه – أو استهلكه أصحابه– درسا وتدريسا، كان لزاما إحداث قفزة نوعية على أسوار الجملة، بإقامة علم مستقل ينعتق من الحدود الضيقة للجملة ويتبنى فضاء أرحب؛ ألا و هو النص، وقد عرف هذا العلم بمصطلحات عدة، منها: علم لغة النص، علم اللغة النصي، نحو النص، لسانيات النص.

يبحث علم النص في " سمات النصوص وأنواعها وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكننا من فهمها وتصنيفها، ووضع نحو خاص لها، مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النص ويشرك فيها متلقيه " (النجار، 2006)، معتمدا في ذلك على مجموعة من المعايير التي اقترحها الباحثان (دي بوجراند) و (دريسلر) لتحقق نصية النص، وهي: الاتساق، الانسجام، القصدية، المقبولية، الإخبارية، الموقفية والتناص.

لذا اتخذنا من هذا العلم مطية لمقاربة نوع من أنواع النصوص وهو الرسالة، ووقع اختيارنا على رسالة الرئيس العراقي الراحل (صدام حسين) الأخيرة، التي وجهها إلى شعبه وإلى العرب، بعد تصديق الحكومة العراقية على إعدامه يوم 26 ديسمبر 2006 ، وهذا لما تمتاز به من ثراء لغوي وخصوصيات تؤهلها لتكون حقلا خصبا لاستثمار مقولات لسانيات النص. وقد وسمنا هذه الدراسة بـ (الاتساق النحوي في رسالة صدام حسين الأخيرة).

وسعيا منا للكشف عن مظاهر الاتساق النحوي بين الأجزاء المكونة لرسالة صدام حسين الأخيرة، وجدنا أن لابدّ من الإجابة عن الإشكاليات التالية:

- ما مفهوم الاتساق ؟ وما هي أنواعه ؟
- ماهي أدوات الاتساق النحوي؟
- كيف تمظهر الاتساق النحوي في رسالة صدام حسين الأخيرة ؟
- هل يمكن اعتبار رسالة صدام حسين الأخيرة بناء واحدا يشد بعضه بعضا ؟

لأجل ذلك ارتأينا تنظيم الإجابة في مقدمة، يليها مطلبان، وصولا إلى خاتمة. ففي المقدمة تعريف بموضوع البحث، والهدف منه، وعناصره الأساسية، وطرح للإشكاليات التي سيتم الإجابة عنها في ثنايا البحث. أما المطلب الأوّل وهو الجانب النظري من الدراسة؛ فنهتم فيه بالعرض التنظيري لجملة من المفاهيم ذات الصّلة الوثيقة بموضوع دراستنا (التعريف اللغوي والاصطلاحي للاتساق، أنواعه، أدوات الاتساق النحوي). يليه المطلب الثّاني وهو الجزء التطبيقي من البحث، نبحث فيه عن أدوات الاتساق النحوي في رسالة صدام حسين الأخيرة، ونقوم بتحليلها؛ بغية

الوصول إلى فاعليتها في تماسك هذه الرسالة. وفي الختام نتوج بحثنا بخاتمة تضمُّ أبرز النَّتائج المتوصّل إليها، معتمدين على المنهج الوصفي التحليلي؛ كونه الأنسب لهذه الدراسة.

2. المطلب الأول: الاتساق النحوي (مفهومه، أنواعه، وأدواته):

1.2. مفهوم الاتساق Cohesion :

1.1.2. لغة:

جاء في قاموس تاج العروس للزبيدي، و س ق، وسَقَّه، يسِقُّه، وسْقاً، ووُسوقاً: ضمّه وجمَعَه وحمَله وَمِنْه قولُه تَعالى: " واللّيْلِ وَمَا وَسَق"؛ أَي وَمَا جمَع وضمّ، قَالَه الفَرّاءُ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدة: أَي وَمَا جمَع من الجِبالِ والبِحار والأَشْجارِ، كأنّه جمَعها بأنْ طلَع عَلَيْهَا كُلّها، فَإِذا جلّل اللّيلُ الجِبالَ والأشجارَ والبِحارَ والأرضَ فاجتَمَعت لَهُ فقد وسَقَّها (الزبيدي، 1990، صفحة 469).

ولا تنأى المعاجم الغربية في تحديدها لمفهوم الاتساق عن المعاجم العربية؛ فقد ورد في معجم (OXFORD)بأن الاتساق هو إلصاق الشيء بشيء آخر بالشكل الذي يشكلان وحدة مثل: اتساق العائلة الموحدة، وتثبيت الذرات بعضها ببعض لتعطي كلا واحدا " (بوستة، 2009، صفحة 55).

2.1.2. اصطلاحا:

ترجم مصطلح Cohesion من الإنجليزية إلى اللغة العربية إلى عدة مصطلحات، فنجد: الاتساق، التماسك اللفظي، التضام، الترابط، والالتئام (القوي، 2017). كما وردت له عدة تعريفات عند الباحثين، منها:

– حدد الباحثان (هاليداي) و (رقية حسن) تعريف الاتساق في مؤلفهما cohesion in English بما يلي: " إن مفهوم الإتساق مفهوم دلالي، إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده بوصفه نصا " (خطابي، 1991، صفحة 15)

– أما (محمّد خطابي) فيقصد بالاتساق " ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لـ: نص/ خطاب ما. ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تحصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب أو خطاب برمته" (خطابي، 1991، صفحة 5)

– والاتساق عند (دي بوجراند) " يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية SURFACE على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق progressive occurrence بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي SEQUENTIAL CONNECTIVITYوبحيث يمكن استعادة هذا الترابط " (دي بوجراند، 2007، صفحة 103).

2.2. أنواع الاتساق:

1.2.2. **الاتساق النحوي:**

الاتساق النحوي ذو طبيعة خطية أفقية، تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل على المستوى السطحي للنص، ويتحقق من خلال أدوات الربط النحوية (الروابط) (بحيري، 1997، الصفحات 122-123).

2.2.2. الاتساق المعجمي:

هو "وسيلة لفظية من وسائل السبك التي تقع بين مفردات النص، وعلى مستوى البنية السطحية فيه، تعمل على الالتحام بين أجزائه معجميا، ومعاني جمله وقضاياه، من خلال إحكام العلاقات الدلالية القريبة والبعيدة فيه، إذ يؤدي ذلك إلى تلازم الأحداث وتعالقها من بداية النص حتى آخره، مما يحقق للنص نصيته (الحلوة، 2012)، وينقسم إلى نوعين، هما: التكرير (Reiteration) والتضام (Collocation) (خطابي، 1991، صفحة 24) .

3.2. أدوات الاتساق النحوي:

1.3.2. الإحالة (Référence) :

يعرف (روبرت دي بوجراند) (Robert de Bougrande) الإحالة بقوله: " هي العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص " (دي بوجراند، 2007، صفحة 320) . فالإحالة علاقة ذات قطبين أولهما المحيل أما الثاني فهو المحال عليه. وتتحقق العلاقة بين هذين القطبين من خلال العناصر العائدة (عزوز، 2016، صفحة 58)

1.1.3.2. أنواع الإحالة:

1.1.1.3.2. الإحالة النصية (إحالة داخل النص أو داخل اللغة) (Endophora):

" وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ" (الزناد، 1993، صفحة 118)؛ فالإحالة النصية تركز على العلاقات بين الأنماط الموجودة في النص ذاته، وقد تكون بين ضمير وكلمة، أو بين كلمة وكلمة أو عبارة، أو جملة وجملة أو فقرة وفقرة (الفقي، 2000، صفحة 41) ، وهي بدورها تنقسم إلى قسمين: (الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، 1993، الصفحات 118-119)

- إحالة قبلية (إحالة على السابق أو الإحالة بالعودة) (Anaphora): وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به.
- إحالة بعدية (إحالة على اللاحق) (Cataphor): وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص، ولاحق عليها.

2.1.1.3.2. الإحالة المقامية (إحالة على ماهو خارج اللغة) (Exophara):

" هي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي؛ كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملا إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه، فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم " (الزناد، 1993، صفحة 119)، فيقودُ هذا النوع من الإحالة المخاطب إلى شيء أو شخص في العالم الخارجي.

وذهب الباحثان (هاليداي) و(رقية حسن) إلى أن الإحالة المقامية تسهم في خلق النص؛ لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تسهم في اتساقه على نحو مباشر، في حين تقوم الإحالة النصية بدور فعال في سبك النص (خطابي، 1991، الصفحات 17-18) .

2.1.3.2. أدوات الاتساق الإحالية (العناصر الإحالية):

هي عناصر لا نعتمد في فهمها على معناها الخاص، بل على إسنادها إلى شيء آخر؛ فهي تجبر القارئ على البحث في مكان آخر عن معناها (مُحَمَّد، 2009، صفحة 119)؛ ذلك أنها لا تملك دلالة مستقلة، بل هي تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، ويشترط أن يتحقق التماثل بين هذه العناصر الإحالية، وبين ما تحيل عليه (الزناد، 1993، صفحة 118)، أهمها:

– **الضمائر**: الضمير" لفظ موضوع يعين مسماه سواء أكان متكلما أم مخاطبا أم غائبا. وعليه فإن هذه الألفاظ تقوم مقام ما يكنى بها مسمياتها " (مطهري، 2003، صفحة 204)، وهذا ما يكسبها أهميتها في تحقيق الاتساق؛ أي من كونها تنوب عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، وتتعدى ذلك إلى الربط بين أجزاء النص المختلفة (الفقي، 2000، صفحة 137). قسمها العلماء العرب إلى عدة أقسام، بتعدد اعتبارات تقسيمها، أما باعتبار تحقيقها للاتساق فقد وضع لها (هاليداي) و (رقية حسن) نوعين: (خطابي، 1991، صفحة 18).

– ضمائر تحيل إلى خارج النص؛ إذ تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب.

– ضمائر تؤدي دورا هاما في اتساق النص، سماها الباحثان " أدوارا أخرى "، تندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفرادا وتثنية وجمعا؛ إذ تحيل داخل النص.

– أسماء الإشارة: اسم الإشارة هو اسم يعين مدلوله تعيينا مقرونا بإشارة حسية إليه، وقد يكون المشار إليه (المدلول) شيئا حسيا، وقد يكون شيئا معنويا (حسن، 2007، صفحة 2007)، يقوم بالربط القبلي والبعدي. وأسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية؛ أي أنها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق، ومن ثم تساهم في اتساق النص، لكن اسم الإشارة المفرد ينفرد بما يسميه (هاليداي) و(رقية حسن) " الإحالة الموسعة "؛ أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل (خطابي، 1991، صفحة 19) ، ويمكن تقسيمها باعتبارات عدة كما يلي: (عفيفي، 2005)

– باعتبار الظرفية: ظرفية زمانية نجد (الآن، غدا، أمس)، ظرفية مكانية (هنا، هناك، هنالك).

– باعتبار المسافة: بعيد مثل: (ذاك، ذلك، تلك)، قريب مثل: (هذا، هذه).

– باعتبار النوع: مذكر(هذا)، مؤنث (هذه).

– باعتبار العدد: مفرد (هذا، هذه)، مثنى (هذان، هتان)، جمع (هؤلاء).

– الأسماء الموصولة: الاسم الموصول " اسم غامض مبهم يحتاج دائما في تعيين مدلوله، وإيضاح المراد منه إلى أحد شيئين بعده؛ إما: جملة وإما شبهها، وكلاهما يسمى: "صلة الموصول " (حسن، 2007، صفحة 341). والأسماء الموصولة قسمان: خاصة ومشتركة.

– الأسماء الموصولة الخاصة: هي التي تفرد وتثنى وتجمع وتذكر وتؤنث، حسب مقتضى الكلام، وهي: الذي، (اللذان واللذَين)، الذين، التي، (اللتان واللتين)، (اللاتي، اللواتي، اللائي)، الألى. ويشترط أن تشتمل صلة الموصول الخاص على ضمير، يطلق عليه اسم العائد، يعود على الموصول ويطابقه في النوع (التأنيث والتذكير والتأنيث) والعدد (الإفراد والتثنية والجمع).

– الأسماء الموصولة المشتركة: هي التي تكون بلفظ واحد للجميع، فيشترك فيها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وهي: من، ما، ذا، أي، ذو. ال (عيد، 1971، صفحة 173)

2.3.2. الاستبدال Substituotion:

الاستبدال هو " إحلال عنصر لغوي مكان عنصر آخر داخل النص، ويسمى التعبير الأول من التعبيرين (المنقول) المستبدل منه والآخر الذي حل محله المستبدل به " (النجار، 2006)، ويأخذ المستبدل من المستبدل منه موقعه ووظيفته، فيعمل عمله التركيبي (وليد حسن مُحَّد، 2002، الصفحات 10-21)

1.2.3.2. أنواع الاستبدال:

يرى كل من (هاليداي) و(رقية حسن) أنالاستبدال علاقة نحوية بين الكلمات أكثر من كونها بين المعاني، وانطلاقا من هذا يقسمان الاستبدال على أساس الوظيفة النحوية لعنصر الاستبدال: الاسم، الفعل، الجملة. ووفقا لذلك نجد الاستبدال الاسمي، الاستبدال الفعلي، الاستبدال الجملي (مُحَّد، 2009، صفحة 114)، والتي يمكن شرحها فيما يلي (وليد حسن مُحَّد، 2002، صفحة 22):

– **الاستبدال الاسمي**: يتم بمجموعة العناصر اللغوية الاسمية التي يمكن أن تحل محل الاسم، مؤدية وظيفته التركيبية، مثل: آخر، آخرون، نفس،..

– **الاستبدال الفعلي**: ويتم بمجموعة المقولات الفعلية التي يمكن أن تحل محل الفعل، مؤدية وظيفته التركيبية، مثل: الفعل (يفعل).

– **الاستبدال الجملي (التركيبي، القولي)**: ويتم بمجموعة المقولات التي يمكن أن تحل محل تركيب، مؤدية وظيفته التركيبية، مثل: ذلك، لا، ..

3.3.2. الحذف Ellipsis :

الحذف هو " استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة " (دي بوجراند، 2007، صفحة 301). فالحذف علاقة اتساقية، ترد في النص على المستويين المعجمي والنحوي، يهتدي فيها المتلقي إلى عناصر غير ظاهرة ويقدرها اعتمادا على قرائن مقالية ومقامية (لاينز، 1987، صفحة 112)، فيملأ الفجوة التي تركها المحذوف ويكتمل المعنى. مما يعني أن الحذف لا يتم اعتباطا، بل " الأصل في المحذوفات جميعا على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنه لغو من الحديث، لا يجوز بوجه ولا سبب " (ابن الأثير، 2007، صفحة 268)

1.3.3.2. أنواع الحذف:

قسم (هاليداي) و (رقية حسن) الحذف إلى: (عفيفي، 2001، صفحة 127)

– **الحذف الاسمي**: ويكون المحذوف اسما داخل المركب الاسمي، مثل: أي قميص ستشتري ؟ هذا هو الأفضل؛ أي هذا القميص.

– **الحذف الفعلي**: يكون المحذوف هنا فعلا، مثل: ماذا كنت تنوي ؟ السفر. وتقدير الكلام: أنوي السفر.

– **الحذف داخل ما يشبه الجملة**: كم ثمن هذا القميص؟ خمسة جنيهات.

4.3.2. الوصل Conjunction :

الوصل كما حدده (هاليداي) و(رقية حسن) هو " تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم " (خطابي، 1991، صفحة 23). ويوضح مُحَمَّد خطابي – في تعقيبه على هذا التعريف– كيفية مساهمة (الوصل) في اتساق النص؛ حيث أنه يحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين الجمل أو المتتاليات المتعاقبة خطيا المشكلة للنص، كي تفهم كوحدة متماسكة (خطابي، 1991، صفحة 23).

1.4.3.2. أنواع الوصل: فرع الباحثان (هاليداي) و (رقية حسن) الوصل إلى أربعة أنواع:

– **الوصل الإضافي**: يربط الأشياء التي لها نفس الحالة، ويتم بالأدوات: و، أو، أما، كذلك، أو عبارات تحمل معنى التماثل الدلالي (على نحو مشابه، مثل هذا، بنفس الطريقة، بالمثل)، أو عبارات تحمل معنى الشرح (أعني، بتعبير آخر، بكلمات أخرى، ما أقوله هو)، أو عبارات تحمل معنى التمثيل (مثلا، نحو، على سبيل المثال، ..)، والكلمات الدالة على التخصيص (خاصة، على نحو خاص)، وكلمات مثل: بالمصادفة، بالمناسبة (مُحَمَّد، 2009، صفحة 111)

– **الوصل العكسي (الاستدراكي)**: ويعني " على عكس ما هو متوقع "، ويتم بالأدوات: لكن، مع ذلك، على الرغم من، على أية حال، من ناحية أخرى، في نفس الوقت. (خطابي، 1991، صفحة 23) .

– **الوصل السببي**: تندرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط والغرض، يعبر عنه بعناصر مثل: (لهذا، بهذا، لذلك، لأن)، وتعبيرات مثل: (نتيجة لـ، سبب لـ) (خطابي، 1991، صفحة 23) .

– **الوصل الزمني**: تربط العلاقة الزمنية بين الأحداث من خلال علاقة التتابع الزمني؛ أي التتابع في محتوى ما قيل، يعبر عنها بعناصر مثل: (ثم، بعد)، وتعبيرات مثل (وبعد ذلك، على نحو تال). وقد تشير إلى ما يحدث في ذات الوقت (في ذات الوقت، حالا، في هذه اللحظة)، أو تشير إلى السابق (مبكرا، قبل هذا، سابقا)،.. (مُحَمَّد، 2009، صفحة 112).

3. المطلب الثاني: تمظهر أدوات الاتساق النحوي في رسالة صدام حسين الأخيرة:

على ضوء ما سبق، نبحث عن أدوات الاتساق النحوي التي وردت في الرسالة الأخيرة للرئيس العراقي الراحل (صدام حسين). ونصب جهدنا على تبيين مدى فاعليتها في إحداث التماسك بين أجزائها.

1.3. الإحالة:

1.1.3. الإحالة الضميرية: وظف صدام حسين في رسالته الأخيرة الضمائر بمختلف أنواعها، فنجد:

1.1.1.3. الإحالة بضمائر المتكلم: تنوب عن المتكلم الضمائر التالية: أنا، نحن، إياي، إيانا، التاء، ياء المتكلم، نا (الجارم و أمين، 1983، الصفحات 205-210) .

– **الإحالة بضمائر المتكلم المفرد**: وردت في الرسالة (16) مرة، وتعود كلها على الذات المتكلمة (صدام حسين) باعتباره أحد المحاور الأساسية التي دارت حولها الرسالة، و" هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه" (ابن ظافر الشهري، 2015، صفحة 83)، محققة إحالات مقامية؛ إذ عادت على عنصر إشاري غير لغوي، موجود في العالم الخارجي. وقد استهل رسالته بسرد سريع

لسيرته النضالية، "كنت كما تعرفوني .. " (حسين، 2006)؛ موظفا ضمير الرفع المتصل: (التاء)، وضمير النصب المتصل (الياء)، ليصل إلى واقعه المتمثل في قرار إعدامه، فيقول "ها أنا أقدم نفسي فداء " (حسين، 2006) موظفا ضمير الرفع المنفصل (أنا)، والمستتر (أنا) في (أقدم)، والمتصل (الياء) بـ (نفسي) ليعبر عن الذات الفاعلة، المقررة لمصيرها بملء إرادتها، فيحفظ لها هيبة الرئيس ومكانته، متجاهلا الجهات التي أصدرت قرار إعدامه، ويحط من قيمتها. كما كشف عن الذات المهمومة والمأزومة من حال شعبها والحريصة عليه حتى بعد رحيلها من خلال الضمير المستتر (أنا) في " أدعوكم " (حسين، 2006) التي كررها (6) مرات. ليودعهم في آخر الرسالة، داعيا بحفظهم بقوله " أستودعكم " (حسين، 2006) موظفا الضمير المستتر (أنا). وهذه الضمائر من شأنها أن تربط نص الرسالة بسياقه الخارجي.

– **الإحالة بضمائر المتكلم الجمع**: وردت (31) مرة، منها (22) تحيل إلى الشعب العراقي، و(7) إلى الأمة العربية، و(2) إلى (صدام حسين)، ومثال ما يحيل إلى الشعب العراقي (حسين، 2006):

كادونا بباطل ونكيدهم بحق ينتصر حقنا ويخـــزى الباطل

لنا منازلُ لا تنطفي مواقدها ولأعدائـنا النارُ تشـــوي منازلُ

وفي الأخرى تستقبلنا حورها يُعز منْ يقدمُ فيها لايُـــــذالُ

عرفنا الدربَ ولقد سلكناها مناضلاً في العدل يتبعهُ مناضلُ

ما كنّـا أبدا فيها تواليـــــا في الصول والعزم نحـــنُ الأوائلُ

ففي هذه المقطوعة يجمع صدام حسين بين فخر بصفات شعبه ونفسه؛ كالحق، الجود، والمنزلة العليا في الأخرة، العز، النضال، العزم والإقدام،.. وبين هجاء مرير لأعدائهم. والمتأمل يلمس ترابطا بين أبياتها، من خلال الضمائر المتنوعة التي أحالت إحالة مقامية إلى عنصر إشاري يدور حوله الموضوع، موجود خارج النص وهو الشعب العراقي بما فيهم الكاتب، فنجد ضمير الرفع المنفصل (نحن) في (نحن الأوائل)، والضمير المتصل (نا) في (كادونا، حقنا، لنا، أعدائنا، تستقبلنا، عرفنا، سلكنا، ما كنا)، والمستتر (نحن) في (نكيد).

ومثال ما يحيل إلى العرب بما فيهم كاتب الرسالة، ما نجده في تعبيره عن انتمائه إلى العرب والمصير المشترك الذي يجمعه به ونزعته القومية في قوله: " يا أبناء أمّتنا المجيدة.. إن هذا الحال القاسي الذي نحن جميعاً فيه .. درس جديد" (حسين، 2006)؛ حيث أشارت هذه العناصر اللغوية: الضمير المتصل (نا) في (أمتنا) والضمير المنفصل (نحن) إلى مفسر موجود في المقام الخارجي وهو العرب بما فيهم صدام حسين، فهي إحالات مقامية خارجية، تجبر المتلقي على البحث خارج النص لفهم مفسرها. وبالتالي فهي تربط النص بما هو خارج عنه.

كما عبر (صدام حسين) عن ذاته المفردة بصيغة الجمع (نحن)، الذي نجده ضميرا متصلا (نا) في (إننا)، ومستترا في (نحمد، نشكر)، وهذا في قوله :" فإن أرادها شهيدة فإننا نحمده ونشكره " (حسين، 2006). ولا يقتضي ذلك إلا صفة تعظيمه كقائد لشعبه. وفي هذا المقام عبر عن رضاه التام بقضاء الله وقدره، من غير معارضة حال نزل به الإعدام.

2.1.1.3. الإحالة بضمائر المخاطب: المخاطب " هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه عمدا " (ابن ظافر الشهري، 2015، صفحة 85)، وتنوب عنه الضمائر التالية: أنت، أنت، أنتما، أنتم، أنتن، إياك، إياك، إياكما، إياكم، إياكن، التاء، ألف الإثنين، واو الجماعة، نون النسوة، ياء المخاطبة، كاف المخاطب (الجارم و أمين، 1983، الصفحات 205-210). وقد بلغ عدد الإحالات بضمائر المخاطب في الرسالة (57) مرة، منها (53) تحيل إلى الشعب العراقي، و(03) إلى الناس من الأمة العربية والإنسانية، وبخاصة الشعب العراقي، و(01) إلى الأمة العربية خاصة، وقد تنوعت، ومنها:

- ما ورد في دعوة شعبه وتوجيهه إلى مجموعة فضائل تارة، وإشادة ومدح لهم تارة أخرى على ما حققوه إبان ثورة 17-30 تموز 1968؛ حين أطاحوا بنظام حكم الرئيس (عبد الرحمن عارف): " أيّها الشعب العظيم.. أدعوكم أن تحافظوا على المعاني التي جَعَلتكم تحملون الإيمان بجدارة وأن تكونوا القنديل المشعّ في الحضارة، وأن تكون أرضكم مهد أبي الأنبياء، إبراهيم الخليل وأنبياء آخرين، على المعاني التي جَعَلتكم تحملون معاني صفة العظمة ... وعلى أساس معاني الإيمان والمحبّة والسلام .. بنيتم وأعليتم البناء.. وعلى هذا الأساس كنتم ترفلون بالعز والأمن في ألوانكم الزاهية...، وبخاصة بعد ثورتكم الغرّاء ...، وانتصرتم، وأنتم تحملونها بلون العراق العظيم الواحد وأدعوكم إلى عدم الحقد... أدعوكم أن لا تكرهوا شعوب الدول التي اعتدت علينا.." (حسين، 2006)؛ حيث ساهم ضمير المخاطب في الربط بين ثلاث فقرات من النص، فنجده منفصلا (أنتم) في (وانتصرتم وأنتم تحملونها)، ومتصلا متمثلا في كاف المخاطب في (أدعوكم، جعلتكم، أرضكم، جعلتكم، ألوانكم، ثورتكم، أدعوكم)، والتاء في (بنيتم، أعليتم، انتصرتم) وواو الجماعة في (تحافظوا، تحملون، تكونوا، تحملون، ترفلون، تحملونها، لا تكرهوا)، محققة بذلك إحالة نصية قبلية، حيث اقتضى منا توضيحها والكشف عن مدلولها العودة إلى ما ذكر قبلها صراحة (الشعب العظيم). والذي يحيلنا - في حد ذاته - إلى خارج النص حيث يوجد، وهذا من شأنه أن يربط النص بالعالم الخارجي. ولعل تكرار ضمير المخاطب بذاك العدد دليل على اهتمام الرئيس بمصلحة شعبه، وخوفه عليه خاصة بعد وفاته.

3.1.1.3. الإحالة بضمائر الغائب: تنوب عن الغائب الضمائر: هو، هي، هما، هم، هن، إياه، إياها، إياهما، إياهم، إياهن، ألف الاثنين، واو الجماعة، نون النسوة، هاء الغائب (الجارم و أمين، 1983، الصفحات 205-210)
ويقتضي تقدم المفسر على ضمير الغائب، لأنه وضع معرفة لا بنفسه، بل بسبب ما يعود عليه، فإن ذكرته ولم يتقدمه مفسره بقي غامضا منكرا لا يعرف المراد به حتى يأتي مفسره بعده، وتنكيره خلاف وضعه (إسماعيل، 2011) وقد سيطر حضور ضمائر الغائب بـ (194) مرة، وتنوعت بين المتصلة والمنفصلة والمستترة، كما تعددت العناصر المشار

إليها، غير أننا نستطيع القول أنها تمحورت حول ذوات معينة: الله عز وجل، صدام حسين، نفس صدام حسين، الشعب العراقي، أعداء العراق من فرس وصهاينة وغزاة، أناس من شعوب الدول المعتدية، إضافة إلى خُلُق الحقد.

– فالملاحظ في القول: " لقد عرف كثر منكم صاحب هذا الخطاب في الصدق والنزاهة ونظافة اليد و...، وأن يعيش كل شيء في ضميره وعقله وأن يتوجّع قلبه ولا يهدأ له بال حتى يرفع من شأن الفقراء ويلبّي حاجة المعوزين وأن يتسع قلبه لكل شعبه وأمته وأن يكون مؤمناً أميناً.. من غير أن يفرّق بين أبناء شعبه" (حسين، 2006)، أن صدام قد تحول من الحديث عن نفسه بصيغة المتكلم (أنا) إلى ضمير الغائب هو، ونسب له صفات وكأن شخصا آخر يتكلم نيابة عنه، ويشهد له بها، ما نأى بنصه عن البعد الذاتي، ومنحه صفة الموضوعية؛ إذ أشار إلى منظور الناس بالخارج عن صدام. حيث يحيل كل من الضمير المتصل (الهاء) في (ضميره، عقله، قلبه، له، قلبه، شعبه، أمته، شعبه)، والمستتر (هو) في (يرفع، يلبي، يكون، يفرق) على صدام حسين المكنى عنه بـ (صاحب هذا الخطاب) المذكور في النص قبل هذه العناصر الإشارية التي حققت إحالة نصية قبلية؛ مساهمة في اتساق النص، وتلاحم أجزائه؛ وذلك بالعودة مع كل ضمير إلى الوراء لأجل تفسيره. كما أغنت عن ذكر المحال إليه في 12 موضعا، بنيابتها عنه، مجنبة التكرار الممل.

– أما في حديثه عن أمر موته بعد قرار إعدامه، فقد دفعه إيمانه إلى ذكر الله عز وجل المتفرد بهذا الأمر؛ إذ يقول: " ها أنا أقدّم نفسي فداءً، فإذا أراد الرحمن هذا صعد بها إلى حيث يأمر سبحانه مع الصدّيقين والشهداء، وإن أجّلَ قراره على وفق ما يرى فهو الرحمن الرحيم وهو الذي أنشأنا ونحن إليه راجعون، فصبراً جميلاً وبه المستعان" (حسين، 2006)، نجد كلا من الضمير المنفصل (هو) في (فهو الرحمن الرحيم وهو الذي ..)، والضمير المتصل (الهاء) في (سبحانه، قراره، إليه، به)، والضمير المستتر (هو) في (صعد، يأمر، أجل، يرى، أنشأ) تحيل إلى (الرحمن) الذي تقدم ذكره في النص، في إحالة نصية قبلية.

2.1.3. الإحالة الإشارية: وردت (16) مرة في نص الرسالة، وتوزعت بين الإحالة البعدية والقبلية والقبلية الموسعة.

– فالإحالات النصية البعدية وردت مرتين (02) فقط، الأولى في قوله: " فإذا أرادها في هذه المرة فهي زرعه " (حسين، 2006)؛ حيث ارتبط اسم الإشارة الدال على المفرد المؤنث القريب (هذه) بمذكور بعده (المرة). أما المرة الثانية فكانت في تصويره للحال الذي يعيشه العراقيون: " إن هذا الحال القاسي... درس جديد "؛ إذ نجد العنصر الإحالي الدال على المفرد المذكر القريب (هذا) يعود على مذكور لاحق له، هو (الحال القاسي) الذي عاناه العراقيون وقتئذ.

– كما وردت الإحالات النصية القبلية مرتين (02) فقط، مرة في قوله: " يعز باستشهادها نفس مؤمنة إذ ذهبت على هذا الدرب " (حسين، 2006) ؛ ويعود اسم الإشارة المفرد المذكر القريب (هذا) على درب الاستشهاد الذي سبقه ذكرا في النص. والمعنى المستجلى من توظيف اسم الإشارة الدال على القريب هو أن الاستشهاد في العراق غدا واقعا معيشا. أما في قوله: " وعلى أساس معاني الإيمان والمحبّة والسلام ... بنيتم وأعليتم البناء من غير تناحر وضغينة وعلى هذا الأساس كنتم ترفلون بالعز والأمن ... في الماضي القريب " (حسين، 2006)، يحيل اسم الإشارة (هذا) إلى مذكور قبله هو (أساس معاني الإيمان والمحبة والسلام)؛ في إشارة قريبة، ليشيَ أن كل تلك المعاني الإنسانية كانت متحققة أيام قيادته للعراق في الماضي القريب، والتي أصبحت مفقودة بدخول الأعداء إليها.

– ومن الإحالات النصية القبلية ما تميز بالإحالة الموسعة التي تكثفت في هذه الرسالة؛ بحضورها في (12) موضعا، كمثل ما جاء في: " لقد عرفتم أخاكم وقائدكم مثلما يعرفه أهله، لم يحن هامته للعُتاة الظالمين، وبقي سيفاً وعلماً على ما يحب الخُلّص ويغيظ الظالمين.أليس هكذا تريدون موقف أخيكم وابنكم وقائدكم..؟! بلى هكذا.. يجب أن يكون صدام حسين وعلى هكذا وصف ينبغي أن تكون مواقفه، ولو لم تكن مواقفه على هذا الوصف لا سمح الله، لرفضته نفسه وعلى هذا ينبغي أن تكون مواقف من يتولّى قيادتكم " (حسين، 2006) فالإشارة في كلمة (هذا) امتدت لتشمل ثلاث جمل دالة على مجموعة من صفات صدام حسين، سبق ذكرها اسم الإشارة، وهي (لم يحن هامته للعُتاة الظالمين، وبقي سيفاً وعلماً على ما يحب الخُلّص ويغيظ الظالمين)، وهنا تبرز كفاءة الألفاظ الكنائية حين تستعمل للدلالة على قطع طويلة من الخطاب الذي ينشط مساحات كبيرة من المعلومات (دي بوجراند، 2007، صفحة 33).

–و في ثنايا توجيهاته لشعبه يقول: " أدعوكم إلى عدم الحقد، ذلك لأن الحقد لا يترك فرصة لصاحبه لينصف ويعدل " (حسين، 2006)، فقد قام اسم الإشارة الدال على المذكر المفرد البعيد (ذلك) بالإحالة الداخلية القبلية الموسعة إلى جملة كاملة مذكورة قبله، هي " أدعوكم إلى عدم الحقد ".

3.1.3. الإحالة الموصولية: من خلال بحثنا عن الأسماء الموصولة وجدنا (22) اسما موصولا.موزعة كالتالي:

1.3.1.3. الإحالة بالأسماء الموصولة الخاصة: اعتمد الكاتب في رسالته على الأسماء الموصولة الخاصة التالية فقط (الذي، التي، الذين)، وكان عددها (12)، منها:

– ما جاء في توديعه لشعبه، والدعاء لهم وله بالحفظ قائلا: " أستودعكم ونفسيَ عند الربّ الرحيم الذي لا تضيع عنده وديعة " (حسين، 2006). فالاسم الموصول (الذي) أحال إحالة داخلية قبلية إلى لفظ الجلالة (الرب الرحيم). وهو كباقي أسماء الإشارة الأخرى مبهم؛ لو ذكر لوحده فقيل: (...عند الرب الرحيم الذي) لن تحصل فائدة ومقصد من الكلام، ولن يتضح المقصود. لذا تم وصله مع الجملة الفعلية المنفية (لا تضيع ودائعه) التي تلته تعين مدلوله وتزيل إبهامه، والتي تشتمل على الضمير الهاء في (ودائعه) الذي يعود على الاسم الموصول (الذي)، فاكتمل المعنى لدى المتلقي وهو وصف الله عز وجل بالحفيظ الذي لا تضيع عنده الأمانة.

– وفي توجيه شعبه ودعوته إلى التمسك بالمعاني السامية، قال: " أدعوكم أن تحافظوا على المعاني التي جعلتكم تحملون الإيمان بجدارة " (حسين، 2006)؛ هنا استخدم الاسم الموصول الدال على المفرد المؤنث (التي) للدلالة على جمع وهو (المعاني) الذي سبقه في النص؛ ذلك أن جمع التكسير لغير العاقل قد يعامل معاملة المفرد المؤنث.

– وقال في موضع آخر محذرا شعبه من الخونة المندسين بين العراقيين، ومن أعداء العراق عامة: " فصار من هو من بين صفوفكم ومَن هو من حلف الأطلسي ومن هم الفرس الحاقدون بفعل حكامهم الذين ورثوا إرث كسرى بديلاً للشيطان" (حسين، 2006)؛ فالإحالة هنا تجسدت بالاسم الموصول الدال على الجمع المذكر (الذين) بإشارته إلى العنصر الإشاري المذكور قبله في النص وهو (الحكام)، واصفا إياهم بالوارثين إرث (كسرى) ملك فارس، وهذا ما كشفت عنه جملة صلة الموصول (ورثوا إرث كسرى).

– والملاحظ أن كل الأسماء الموصولة الخاصة حققت إحالات نصية قبلية. وقد أحدثت الربط بين أجزاء النص على عدة مستويات؛ ففي عودة المتلقي إلى الوراء لتحديد مرجعية الاسم الموصول ربطُ لاحقٍ بسابق، كما ربطَ صلة الموصول بمرجعه؛ أي ربط ما قبله بما بعده، وباستلزامه لجملة الصلة التي تحوي الضمير العائد عليه تم الربط بينه وبين صلة الموصول؛ معنى ذلك أن " فائدة هذا الرابط تتمثل بالعلاقة بين الصلة والموصول؛ ذلك أن جملة صلة الموصول مستقلة بذاتها لولا اشتمالها على الرابط (الأستراباذي، 2015، صفحة 92)، مما جعل النص محكم النسج، ملتحما.

2.3.1.3. الإحالة بالأسماء الموصولة المشتركة: استعان الكاتب بعشر (10) أسماء موصولة مشتركة، توزعت بين (من، ما)، فنجد على سبيل التمثيل لا الحصر:

– في قوله: " ومن يرعوي ويُصلح إن في داخل العراق أو خارجه فاعفوا عنه، وافتحوا له صفحة جديدة في التعامل، لأن الله عفو ويحب من يعفو عن اقتدار" (حسين، 2006)، إذ أحال الاسم الموصول (من) على عاقل، وهو العافي عن الناس مع قدرته على الانتقام، والمقصود هنا العموم؛ أي كل العافين القادرين على الانتقام، وقد تعين مدلول الاسم الموصول والمراد منه بواسطة صلته (يعفو عن اقتدار)، وبذلك حقق إحالة نصية بعدية، وهنا تجسد الربط بين الموصول وصلته. وكذا اشتمال هذه الصلة على الضمير المستتر (هو) في (يعفو) الذي يعود على الاسم الموصول (من) .

ومن خلال قوله نكشف عن التزام هده الشخصية بتعاليم دينها الإسلامي الحنيف، وتخلق هذا القائد بشيمة من شيم الكبار وهي العفو عند المقدرة.

– وكذلك في قوله: " وقد وجد أعداء بلدكم من غُزاة وفرس، أن وشائج وموجبات صفات وحدتكم تقف حائلا بينهم وبين أن يستعبدوكم ... وفي ظنهم خسئوا أن ينالوا منكم بالفرقة مع الأصلاء في شعبنا بما يضعف الهمّة ويوغر صدور أبناء الوطن الواحد " (حسين، 2006)، إذ وقع الاسم الموصول (ما) على غير العاقل، والمقصود العموم فيما لا يعقل؛ أي كل ما من شأنه أن يضعف همة وعزم العراقيين، وكل ما يملأ صدورهم حقدا وكراهية. وقد استحكم الربط هنا بعطف جملة (يوغر صدور أبناء الوطن الواحد) على صلة الموصول (يضعف الهمة).

2.3. الاستبدال: ورد الاستبدال في الرسالة (19) مرة، مقتصرا على نوعيه: الاسمي والقولي.

1.2.3. الاستبدال الاسمي: جاء هذا النوع في ثمان (8) مواضع، منها:

– في قوله: " واعلموا أيّها الإخوة أن بين شعوب الدول المعتدية أناسا يؤيدون نضالكم .. وآخرين كشفوا فضائح الغزاة " (حسين، 2006)، إذ تم استبدال كلمة (آخرين) بكلمة (أناسا)؛ أي (وأناسا آخرين)، ونستدل على ذلك من نص الرسالة ذاتها؛ معنى ذلك أن كلمة (أناسا) حاضرة ومستمرة دلاليا وشكليا في الجملة الأخرى. وبذلك يحصل الترابط النصي. ونلاحظ أن كلمة أناسا في (وأناسا آخرين) شغلت وظيفة الاسم المعطوف، وهي الوظيفة نفسها التي شغلتها كلمة آخرين في (وآخرين كشفوا).

– ولم تخل أبيات مقطوعته الشعرية التي جاءت في ثنايا رسالته من آلية الاستبدال؛ أين ينشد (حسين، 2006):

لنا منازلُ لا تنطفي مواقدها ولأعدائنا النارُ تشوي منازلُ

وفي الأخرى تستقبلنا حورها يُعز منْ يقدمُ فيها لايُذالُ

حيث تم تعويض العنصر اللغوي (الأخرى) بكلمة (المنازل)؛ أي (وفي المنازل الأخرى). فكل من الشكلين اللغويين اللذين وقع بينهما الاستبدال يدلان على الشيء غير اللغوي في نفسه (خطابي، 1991، صفحة 124) (جنات النعيم)، فالاستبدال عمل على مد السيطرة الدلالية للبيت الشعري الثاني بالنسبة إلى الثالث، كما جنب صاحب الرسالة تكرار كلمة (منازل) محققا الاقتصاد اللغوي، فسمح بحفظ المعنى مستمرا في الذاكرة النشطة دون اللجوء إلى التصريح به مرة أخرى (محمّد، 2009، صفحة 114).

– وقد يبدو بشيءٍ من النظر أنَّ عناصر الاستبدال أوسع مجالاً من هذه الألفاظ التي ذكرها علماء النص وأرادوا حصر الاستبدال فيها، فمثلاً: يدخل في الاستبدال الاسمي إقامة الصفة مقام الموصوف (الشاعر، 2019) ، ففي قول صاحب الرسالة: " أيها الناس ... لقد عرف كثر منكم صاحب هذا الخطاب " (حسين، 2006)، قد حلت الصفة (كثر) مكان الموصوف (أناس)، وشغلت وظيفته التركيبية (فاعل)؛ إذ تقدير الكلام: (لقد عرف أناس كثر منكم .. ".

2.2.3. الاستبدال القولي: حضر في الرسالة (10) مرات، منها:

– في قوله: " ها أنا أقدّم نفسي فداءً فإذا أراد الرحمن هذا صعد بها " (حسين، 2006)؛ إذ جاءت كلمة (هذا) بدلا من الجملة التي سبقتها (أنا أقدم نفسي فداء)؛ ذلك أن تقدير الكلام: (ها أنا أقدّم نفسي فداءً فإذا أراد الرحمن أن أقدم نفسي فداء صعد بها) ودون العودة إليها لا يفهم المعنى من كلمة (هذا).

– وفي موضع آخر: " .. أدعوكم أن تحافظوا على المعاني التي جَعَلتكم تحملون الإيمان بجدارة وأن تكونوا القنديل المشعّ في الحضارة، وأن تكون أرضكم مهد أبي الأنبياء، إبراهيم الخليل وأنبياء آخرين، على المعاني التي جَعَلتكم تحملون معاني صفة العظمة..وأدعوكم إلى عدم الحقد .. أدعوكم أن لا تكرهوا شعوب الدول التي اعتدت علينا، وفرّقوا بين أهل القرار والشعوب، واكرهوا العمل فحسب، بل وحتى الذي يستحق عمله أن تحاربوه وتجالدوه لا تكرهوه كإنسان.. وشخوص فاعلي الشر، بل اكرهوا فعل الشر بذاته وادفعوا شرّه باستحقاقه.. ومن يرعوي ويُصلح .. فاعفوا عنه، وافتحوا له صفحة جديدة في التعامل ..، وإن الحزم واجب حيثما اقتضاه الحال، وإنه لكي يُقبل من الشعب والأمّة ينبغي أن يكون على أساس القانون وأن يكون عادلاً ومنصفاً وليس عدوانيّاً على أساس ضغائن أو أطماع غير مشروعة.. إلى هذا أدعوكم " (حسين، 2006)، فهنا نلاحظ أنه عندما شارف صدام حسين على ختم رسالته اختزل واختصر كل ما دعا إليه من فضائل بكلمة واحدة (هذا)، التي عوضت متتاليات من الجمل امتدت على معظم النص. وبهذا أسهمت آلية الاستبدال في ربط أجزاء النص، مع الاقتصاد والاختزال في الكلمات بعدم تكرارها.

3.3. الحذف:تم الحذف في هذه المدونة (141) مرة، موزعة على أنواعه، فنجد:

1.3.3. الحذف الاسمي:

– في قوله: " لقد عرفتم أخاكم وقائدكم مثلما يعرفه أهله، لم يحن هامته للعُتاة الظالمين، وبقي سيفاً وعلماً على ما يحب الخُلّص ويغيظ الظالمين " (حسين، 2006)، حذف المفعول به (الضمير المتصل الهاء) بـ (يحب)؛ العائد على الاسم الموصول (ما)؛ فتقدير الكلام: " ... وبقي سيفاً وعلماً على ما يحبه الخُلّص .. ". والأمر ذاته في قوله: " وإن أجل

قراره على وفق ما يرى فهو الرحمن الرحيم " (حسين، 2006)؛ إ ذ تقدير الكلام: " ... على وفق ما يراه ...".
والدليل في كلا المثالين مقالي؛ و هو الاسم الموصول (ما).

– في قوله: " وعلى أساس معاني الإيمان والمحبّة والسلام الذي يعزّ ما هو عزيز وليس الضغينة بنيتم وأعليتم البناء " (حسين، 2006)، وهنا تحقق التنازع؛ حيث يتنازع العاملان (بنى) و (أعلى) المعمولَ (البناء)، فيطلبه كلاهما ليكون مفعولا به له؛ لأن تقدير الكلام: " بنيتم البناء وأعليتموه "، فحذف معمول الفعل (بنى)، والدليل مقالي؛ يعتمد على ما ذكر بعده في النص.

–أما في قوله: " إلى هذا أدعوكم شعبا واحدا أمينا ودودا لنفسه وأمته والإنسانية ... صادقا مع غيره ومع نفسه " (حسين، 2006)، حذف الاسم المعطوف (صادقا)، وهذا طلبا للاختصار؛ إذ تقدير الكلام: " صادقا مع غيره وصادقا مع نفسه "، وتم تقدير المحذوف بناء على ما قد ذكر قبله في النص.

والملاحظ في الأمثلة المدرجة أن الدليل على المحذوف مقالي؛ ولهذا السبب تحقق التماسك على مستوى النص؛ إذ لو كان الدليل مقاميا، فلن يوجد بالنص كلام مذكور يتحقق التماسك بينه وبين الكلام المحذوف، كما نلاحظ أن المحذوف من لفظ المذكور، وهذا أشد تأكيدا على دور الحذف في تحقيق تماسك هذه الرسالة " (الفقي، 2000، صفحة 228)، كما نلاحظ أننا عاملنا المحذوف معاملة المذكور، وعليه فالتماسك في تراكيب الحذف يقوم على محورين أساسيين: (الفقي، 2000، صفحة 221)

– الأول: التكرار، باللفظ نفسه، وبالمعنى فقط، أو كليهما معا.

– الثاني: المرجعية، سابقة أو لاحقة.

2.3.3. الحذف الفعلي: نجده:

– في قوله: " فإذا أرادها في هذه المرّة فهي زرعهُ.. وهو الذي أنشأها وحماها حتى الآن.. وبذلك يعزّ باستشهادها نفس مؤمنة، إذ ذهبت على هذا الدرب بنفس راضية مطمئنّة من هو أصغر عمراً من صدام حسين " (حسين، 2006). هنا حذف الفعل (اذكر) قبل الاسم (إذ =حينَ)؛ فتقدير الكلام: (اذكر حين ذهبت على هذا الدرب....)، فإعراب إذ: اسم مبني على السكون، في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر.

– كذلك في قوله : " ومن يرعوي ويُصلح إن في داخل العراق أو خارجه فاعفوا عنه " (حسين، 2006)، فقد حذف الفعل "كان " مع اسمه بعد إن الشرطية، وأُبقي على خبرها (في داخل العراق)، (خارجه) ؛ وتقدير الكلام: " ومن يرعوي ويُصلح إن كان في داخل العراق أو كان خارجه فاعفوا عنه "

– وكذا في: " عاش العراق ... ، وعاشت فلسطين وعاش الجهاد والمجاهدون " (حسين، 2006)، فالتقدير (عاش الجهاد وعاش المجاهدون)؛ إذ حذف الفعل (عاش)، لدلالة الفعل قبله عليه، فالمرجعية داخلية قبلية، والمحذوف من لفظ المذكور، مما أسهم في ترابط الجملتين.

3.3.3. الحذف داخل ما يشبه الجملة:

– جاء في قوله: " أدعوكم أن تحافظوا على المعاني التي جَعَلتكم تحملون الإيمان بجدارة ...، على المعاني التي جَعَلتكم تحملون معاني صفة العظمة " (حسين، 2006). فالملاحظ هنا أن الكاتب قد استغنى عن جزء من الجملة الثانية، فقال مباشرة: " على المعاني التي جعلتكم ... "، تاركا فراغا فيها، يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على دليل موجود في نص سابق مرتبط به (خطابي، 1991، صفحة 21)؛ لتكون الجملة: (أدعوكم أن تحافظوا على المعاني التي جعلتكم تحملون معاني صفة العظمة ..)، وهذه العلاقة القبلية تحفظ للنص استمراريته، وتساهم في اتساقه.

– وكذا في قوله: " أليس هكذا تريدون موقف أخيكم وابنكم وقائدكم..؟! بلى هكذا " (حسين، 2006)، اكتفى صدام حسين في رده عن سؤاله التقريري بالقول: (بلى هكذا)، مسقطا الجملة الفعلية (تريدون موقف أخيكم وابنكم وقائدكم)؛ وهذا لدلالة الجملة الواردة في السؤال عليها؛ إذ تقدير الكلام : "بلى هكذا تريدون موقف أخيكم وابنكم وقائدكم". فالمرجعية داخلية سابقة، والمحذوف من لفظ المذكور، مما يعني أن هناك ربط بين جملتي السؤال والجواب.

– وفي قوله: " ورغم كل الصعوبات والعواصف التي مرّت بنا وبالعراق قبل الثورة وبعد الثورة لم يشأ الله سبحانه أن يُميت صدام حسين، فإذا أرادها في هذه المرّة فهي زرعهُ.. وهو الذي أنشأها وحماها حتى الآن" (حسين، 2006)، حذفت جملة جواب الشرط (أماتها)؛ فكون روح صدام حسين هي زرع الله عز وجل، وهو منشؤها وحاميها ليس متعلقا بفعل الشرط، فالروح لا تخرج عن كونها مخلوقة ومحمية من طرفه عز وجل إن أرادها تلك المرة ميتة أو حية، لكن قوله (فهي زرعهُ.. وهو الذي أنشأها وحماها حتى الآن) دال على الجواب المحذوف، ليتم تقدير الجواب بما يوافق الدليل (أنشأها، حماها وبعدهما أماتها).

4.3. الوصل: كان للوصل بأنواعه حضور مميز، في سبيل إقامة نص متماسك؛ فنجد:

1.4.3. الوصل الإضافي: وقد تم بـ:

– الواو: ويكون للجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم والإعراب جمعا مطلقا، دون ترتيب أو تعقيب (الغلاييني، 2016، صفحة 179)، وقد كان أكثر حروف العطف دورانا وتوظيفا في هذه الرسالة، ومنه ما ورد في قوله: " لقد عرف كثر منكم صاحب هذا الخطاب في الصدق والنزاهة ونظافة اليد والحرص على الشعب والحكمة والرؤية والعدالة والحزم في معالجة الأمور، والحرص على أموال الناس وأموال الدولة، وأن يعيش كل شيء في ضميره وعقله وأن يتوجّع قلبه ولا يهدأ له بال حتى يرفع من شأن الفقراء ويلبّي حاجة المعوزين وأن يتسع قلبه لكل شعبه وأمته وأن يكون مؤمناً أمينا " (حسين، 2006)، وهنا جمع الرئيس بحرف العطف (الواو) جملة من الكلمات والجمل التي تتقاسم أغلبها دلالة الأمانة (الصدق، النزاهة، نظافة اليد، الحرص على الشعب، الحكمة، الرؤية، العدالة، الحزم، الحرص على أموال الغير،..)، ناسبا إياها إلى نفسه، من غير ترتيب لها. وهكذا تجلى الاتساق على صورتين: بين كلمة وكلمة (..الحكمة والرؤية والعدالة..)، ..، وبين جملة وأخرى تليها (أن يتسع قلبه لكل شعبه وأمته و أن يكون مؤمنا أمينا)، ليظهر النص بناء واحدا محكم الشد.

– أو: حرف عطف، يفيد معاني كثيرة، تفهم حسب السياق الذي يرد فيه، ومما جاء في الرسالة: " فصار من هو من بين صفوفكم ومَن هو من حلف الأطلسي ومن هم الفرس الحاقدون بفعل حكامهم .. بديلاً للشيطان، فوسوس في صدور مَن طاوعه على أبناء جلدته أو على جاره أو سدّل لأطماع وأحقاد الصهيونيّة " (حسين، 2006) ، والمعنى الراجح من حرف العطف (أو) الأول: التقسيم؛ حيث قسمَ المَوسوَسَ عليهم إلى: أبناء الجلدة أو الجيران. بينما أفاد الحرف الثاني (أو): التفصيل بعد الإجمال الحاصل في (بديلا للشيطان)؛ إذ المعنى: صار بديلا للشيطان وذلك بوسوسته في صدور مَن طاوعه على أبناء جلدته أو على جاره، وبديلا للشيطان بإطلاقه ونشره لأطماع وأحقاد الصهيونيّة.

– الفاء: ويستعمل للعطف مع الترتيب والتعقيب، ففي تنبيه الرئيس لشعبه من أعداء العراق من غزاة وفرس، قال: " زرعوا ودقوا إسفينهم الكريه، القديم الجديد بينكم فاستجاب له الغرباء من حاملي الجنسيّة العراقيّة " (حسين، 2006)، فحرف العطف (الفاء) ربط بين الجملتين (زرعوا ودقوا إسفينهم الكريه، القديم الجديد بينكم) و (استجاب له الغرباء من حاملي الجنسيّة العراقيّة)، كما أفاد أن حدث تفريق الغزاة والفرس بين أبناء الشعب العراقي جاء أولا، وبعده حدثت الاستجابة من طرف الغرباء الحاملين للجنسية العراقية، بلا مهلة بين الحدثين. فيظهر صدام حسين ناقما على غير الأصلاء المنتسبين للعراقيين، الذين سارعوا بالانقياد للعدو.

–كما تم الوصل الإضافي بكلمة واحدة دالة على التخصيص (خاصة) ، وهذا في قوله: " وعلى هذا الأساس كنتم ترفلون بالعز والأمن في ألوانكم الزاهية في ظل راية الوطن في الماضي القريب، وبخاصة بعد ثورتكم الغرّاء ثورة السابع عشر الثلاثين من تمّوز المجيدة عام 1968 " (حسين، 2006) و جمعت كلمة (خاصة) بين الماضي القريب وما بعد ثورة تموز كونهما يشتركان في صفة تمتع الشعب العراقي بالعز والأمن، مع أفضلية ما بعد الثورة في هذه الصفة.

2.4.3. الوصل العكسي: ورد في الرسالة مرة واحدة (01) فقط، وهذا في قوله: " ورغم كل الصعوبات والعواصف التي مرّت بنا وبالعراق قبل الثورة وبعد الثورة لم يشأ الله سبحانه أن يُميت صدام حسين " (حسين، 2006) فهنا تم الوصل بين معلومتين متعارضتين بواسطة الكلمة (رغم)، فحسب الكاتب أن الظروف الصعبة التي مرت بالعراق وشعبه قبل وبعد الثورة تعتبر سببا لنتيجة منتظرة هي موت صدام حسين، غير أن النتيجة كانت غير متوقعة ببقاء صدام حيا، فالسبب المذكور غير قابل للاجتماع مع هذه النتيجة، غير أن اجتماعهما في عالم النص تحقق بفضل رابط الاستدراك (رغم) الذي نظم طريقة الانتقال بين هاتين المعلومتين، ومن ثمة أحدث اتساقا في النص.

3.4.3. الوصل السببي: وتم في الرسالة بالأدوات التالية: فاء السببية، لام التعليل، أدوات الشرط، ومن أمثلته:

– ما جاء في قوله: " وأدعوكم إلى عدم الحقد، ذلك لأن الحقد لا يترك فرصة لصاحبه لينصف ويعدل " (حسين، 2006)، وهنا ربطت الأداة (لأن) بين جملتين، الأولى (أدعوكم إلى عدم الحقد) وعبرت عن حدث دعوة صدام حسين لشعبه إلى عدم الاتصاف بخلق الحقد، والثانية (الحقد لا يترك فرصة لصاحبه لينصف ويعدل) وعبرت عن سبب الحدث.

–كما تم الوصل السببي بأدوات الشرط اللفظية التي تربط بين جملتين لا يمكن الفصل بينهما، تسمى الأولى جملة الشرط، وهي التي تقوم مقام السبب، وتسمى الثانية جملة جواب الشرط التي تقوم مقام المسبب، ومن هذه الأدوات (لو) التي نجدها في قوله: " لقد عرفتم أخاكم وقائدكم مثلما يعرفه أهله، لم يحن هامته للعُتاة الظالمين، وبقي سيفاً وعلماً

على ما يحب الخُلّص ويغيظ الظالمين ... ولو لم تكن مواقفه على هذا الوصف لا سمح الله، لرفضته نفسه " (حسين، 2006) ، فهنا يتوقف تحقق جملة جواب الشرط (رفضته نفسه) على تحقق جملة الشرط (لم تكن مواقفه على هذا الوصف)؛ بمعنى أن رفض صدام حسين لمواقفه متعلق بعدم موافقتها لصفات الشموخ في وجه الظالمين المستكبرين، وكذا عدم موافقتها للحق الذي يبتغيه المخلصون ويغضب الظالمين، وهذا التعليق والربط الدلالي وافقه الربط على المستوى الشكلي؛ وبحذف (لو) ينتفي هذا الربط، فالجملتان مستقلتان نحويا، بينما وجود هذه الأداة جعلهما تركيبا واحدا.

4.4.3. الوصل الزمني: ورد في قوله: " أدعوكم أ ن تحافظوا ... على المعاني التي جَعَلتكم تحملون معاني صفة العظمة بصورة موثقة ورسميّة، فداءً للوطن والشعب بل رهن كل حياته وحياة عائلته صغاراً وكباراً منذ خط البداية للأمّة والشعب العظيم الوفيّ الكريم واستمرّ عليها ولم ينثن.. ورغم كل الصعوبات والعواصف التي مرّت بنا وبالعراق قبل الثورة وبعد الثورة لم يشأ الله سبحانه أن يُميت صدام حسين، فإذا أرادها في هذه المرّة فهي زرعهُ .. وهو الذي أنشأها وحماها حتى الآن " (حسين، 2006)، وفي هذا القول اجتمعت ألفاظ كثيرة معبرة عن العلاقات الزمنية بمختلف أشكالها:

– حدثت علاقة تتابع زمني بين الأحداث المؤلمة التي مرت بالعراق وشعبه من جهة و حدث الثورة من جهة أخرى، وقد عبر عنها ظرفا الزمان (قبل، بعد) ؛ حيث ربط كل منهما الجملة السابقة له (ورغم كل الصعوبات والعواصف التي مرّت بنا وبالعراق) بكلمة (الثورة).

– كما أشارت العلاقة الزمنية إلى حدثين يقعان في ذات الوقت هما: إرادة الله لموت صدام، وإماتة الله لصدام، وقد عبر عن هذه العلاقة التعبير (في هذه المرة) الذي ربط زمنيا جملة الشرط (إذا أرادها) وجوابه المحذوف (أماتها)؛ إذ تقدير الكلام : (فإذا أرادها في هذه المرّة أماتها فهي زرعه).

– كما ربطت الأداتان (حتى الآن، منذ) ما قيل من كلام بزمن الماضي؛ فربطت الأداة (حتى الآن) حماية الله لنفس صدام بزمن الماضي؛ أي كانت الحماية منذ الماضي. كما ربطت الأداة (منذ) القول: (رهن كل حياته وحياة عائلته صغاراً وكباراً منذ خط البداية للأمّة والشعب العظيم الوفيّ الكريم واستمرّ عليها ولم ينثن) بزمن الماضي؛ معنى ذلك أن المواطن العراقي قام برهن حياته وحياة كل عائلته للأمة والشعب منذ زمن بعيد.

4. خاتمة:

بعد أن أنهت هذه الدراسة صفحتها الأخيرة ولم يزل الفكر متأملا بحيثياتها، نسجل أهم النتائج التي أسفر عنها البحث:

– يعد الاتساق النحوي أحد أهم الوسائل اللغوية، التي تتحق بها النصية، وذلك بتحقيقه للترابط والتماسك على مستوى البنية السطحية للنص.

– لعبت الإحالة الدور الأبرز في ربط مكونات النص بعضها ببعض، وذلك من خلال عودة اللفظ المحيل على مفسره أو مرجعه، الذي يكون هو بدوره أحد محاور الرسالة.

– تكثفت الإحالة الضميرية في الرسالة المدروسة، فكانت أكثر الروابط حضورا، وأقواها فاعلية في الربط، وقد تنوعت بين ضمائر الغيبة التي حققت إحالات قبلية، ساهمت مباشرة في اتساق النص، وضمائر المتكلم التي جاءت في تواز مع ضمائر المخاطب، لتبرز الصورة التقابلية لقطبي الخطاب (صدام حسين/ شعبه) محققة إحالة مقامية ربطت الرسالة بما هو خارج عن نصها.

– تعد الإشارة وسيلة هامة من وسائل الربط على مستوى سطح النص، وقوتها في ذلك قوةُ ضمائرِ الغيبة.

– تقوم الاسماء الموصولة هي الأخرى بالربط الاتساقي من خلال ذاتها، ومن خلال ارتباطها بما بعدها من صلة الموصول، التي تصنع جسرا مفهوميا بين ما قبل الاسم الموصول وما بعده.

– وظف صاحب الرسالة المدروسة عناصر لغوية (اسمية، قولية) للاستبدال، وقد سمحت بحفظ المعنى مستمرا ومتواصلا في ذاكرة القارئ دون الحاجة لتكراره.

– لا يقل عامل الحذف أهمية عن بقية العوامل في تحقيق اتساق النص؛ ويقوم التماسك في تراكيب الحذف على محورين أساسيين: التكرار، والمرجعية.

– اجتمعت أدوات الوصل على تعددها وتنوعها في وظيفة واحدة وهي الربط بين المتواليات المشكلة للنص.

– تظافرت أدوات الاتساق النحوي (الإحالة، الاستبدال، الحذف، الربط) في نص رسالة صدام حسين الأخيرة، لتساهم إلى حد بكبير في تلاحم وتعالق عناصر الرسالة على المستوى الشكلي، مما جعلها لحمة واحدة مترابطة الأجزاء.

5. قائمة المراجع:

1– عفيفي، أحمد، (2005)، الإحالة في نحو النص دراسة في الدلالة والوظيفة، المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، جامعة القاهرة، مصر.

2– عفيفي، أحمد، (2001)، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، مصر.

3– الزناد، الأزهر، (1993)، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب.

4- لاينز، جون، (1987)، اللغة والمعنى والسياق، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق.

05- الأستراباذي، رضي الدين مُحَمَّد بن الحسن، (2015)، شرح كافية ابن حاجب، دار الكتب العلمية، لبنان.

06- دي بوجراند، روبرت، (2007)، النص والخطاب والإجراء، عالم الكتب، مصر.

07- بحيري، سعيد حسن، (1997)، علم لغة النص المفاهيم والإتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر.

08- صالح عبد العظيم الشاعر (2019)، ظاهرة الاستبدال في النحو العربي .. آفاق غير محدودة، *http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=40232 (consulté le 12/04/2021)*

09- الفقي، صبحي إبراهيم، (2000)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، مصر.

10- صدام حسين (2006)، رسالة صدام حسين الأخيرة، *https://www.aljazeera.net/news/2006/12/31/%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%B5%D8%AF%D8%A7%D9%85-%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D9%8A%D8%B1%D8%A9 (consulté le 04/04/2022)*

11- مطهري، صفية، (2003)، الدلالة الإيحائية في الصيغ الإفرادية، منشورات اتحاد كتاب العرب، سوريا.

12- ابن الأثير، ضياء الدين، (2007)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

13- حسن، عباس، (2007)، النحو الوافي، دار المعارف، مصر.

14- ابن ظافر الشهري، عبد الهادي، (2015)، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار كنوز المعرفة، الأردن.

15- مُحَمَّد، عزة شبل، (2009)، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، مصر.

16- الجارم، علي و أمين مصطفى، مصطفى، (1983)، النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، الدار المصرية السعودية، مصر.

17- عبد القوي، غادة مُحَمَّد، (2017)، من آليات السبك والحبك في الحكاية الخرافية الفارسية، مجلة رسالة المشرق بالقاهرة، المجلد 32، العدد (1:2)، الصفحات 289-371.

18- عزوز، فوزية، (2016)، المقاربة النصية من تأصيل نظري إلى إجراء تطبيقي، دار كنوز المعرفة، الأردن.

19- خطابي، مُحَمَّد، (1991)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب.

20- عيد، مُحَمَّد، (1971)، النحو المصفى، مكتبة الشباب، مصر.

21- الزبيدي، مُحَمَّد مرتضى الحسيني، (1990)، تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة الحكومة، الكويت.

22- بوستة، محمود، (2009)، الاتساق والانسجام في سورة الكهف (مذكرة لنيل شهادة الماجستير)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.

23- الغلاييني، مصطفى، (2016)، جامع الدروس العربية، عالم المعرفة، لبنان.

24- النجار، نادية رمضان، (2006)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: الخطابة النبوية نموذجا، مجلة علوم اللغة ، المجلد 9، العدد 2، الصفحات 285-355.

25- إسماعيل، نائل مُحَمَّد، (2011)، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الأزهر بغّزة، المجلد 13، العدد 1(B)، الصفحات 1061-1100.

26- الحلوة، نوال بنت إبراهيم، (2012)، أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها بالسعودية، العدد 8، الصفحات 10-82.

27- عبد الله، وليد حسن مُحَمَّد، (2002)، دور المنهج الاستبدالي في وصف العربية وتعقيدها (رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن.